(١)

كلمات *

محمود عبد المنعم مراد

إذا كان الميلاد هو الحقيقة الأولى فى حياة الإنسان، فإن الوفاة هى الحقيقة الثانية والأخيرة. وما بينهما وهم وأسطورة وحشو يبدو للعين والأذن أحيانا أنه شىء هام. ويبدو أحيانا أخرى كما قلت، أمرا لا يستحق أن نتوقف عنده. ولكن الفراق هو الذى يجلب المعاناة لأنه يجعل المرء يشعر بنقص الغائب الذى يجىء موعد حقيقته الثانية.

بالأمس، تلقيت نبأ وفاة شخص عزيز على النفس، فقد جمعتنا قاعات الدرس ثم جمعتنا صداقة وزمالة الأيام والسنين، منذ تخرجنا حتى جاء موعد الفراق. إنه الصديق الزميل الدكتور السيد محمود الشنيطى، الرئيس الأسبق للهيئة المصرية العامة للكتاب، والزميل فى كلية الآداب، والشريك فى دار النشر التى اجتمع لإنشائها نفر من الأصدقاء الزملاء بذلوا ما فى استطاعتهم ليجدوا لى عملا بعد أن سدت فى وجهى كل طرق الكسب الكريم. ولست أنساه، لا لأنى مدين له بالكثير، بل لأنه كان جزءا من نسيج الحياة التى عشتها بما فيها من آمال وآلام وأفراح وأتراح.

فبعد تخرجنا، وجدنا أن من الأشياء التى تجمع بين أرواحنا وعقولنا، أنا وهو والدكتور شكرى محمد عياد أطال الله عمره ومتعه بالصحة حبنا للأدب الروسى الحافل بالروائع، أدب ما قبل الثورة البلشفية وسمينا أنفسنا أصدقاء الأدب الروسى، وقمنا بترجمة بعض هذه الروائع، وعرضناها على أستاذنا الكبير الدكتور طه حسين، عندما كان يتولى رئاسة دار الكاتب المصرى، فنشر لكل واحد منا كتابا، واحتفل بنا احتفالا أبهج نفوسنا ونحن

* الأخبار ـ ١٠ أبريل ١٩٩٥.

لانزال فى مطلع حياتنا الأدبية والعملية، وواصلنا العمل والقراءة والدراسة، واجتمع ثلاثتنا فترة من الزمن فى العمل بمركز التربية الأساسية بسرس الليان، ثم تفرقنا وقتا قصيرا، إذ سافر الشنيطى إلى الولايات المتحدة الأمريكية يدرس علم المكتبات ويحصل من شيكاغو على درجة الدكتوراه، ونقل الدكتور شكرى محمد عياد للعمل عضوا بهيئة التدريس بكلية الآداب، وبقيت أنا أمارس حياتى المليئة بالمتاعب، فى الصحافة وفى المعتقلات سنوات، ثم اشتركنا جميعا فى دار النشر التى أسسوها لكى أجد لى عملا، بعد أن سدت السياسة كل الطرق فى وجهى. وبقينا أصدقاء وزملاء وأخوة، ثم فوجئت بصوت كريمته العزيزة ينبؤنى بساعة الرحيل للأخ والزميل والصديق والشريك فكان لفراق الدكتور محمود الشنيطى أبلغ الأثر فى نفسى.

وقد شهدته فى السنوات الأخيرة من حياته وهو يشكو صامتا من نسيان جهده وفضله وإنجازاته فى المعرض الدولى للكتاب وفى غيره من الشئون الثقافية. وصبر وعمل عملا متواصلا فى إصدار المجلات الثقافية التى تصدرها هيئة اليونسكو باللغة العربية. كما كان زميلا عاملا مخلصا فى المجالس القومية المتخصصة، وفى هيئة التدريس بقسم المكتبات فى جامعة القاهرة وغيرها من الجامعات العربية.

إن فراق الأصدقاء المخلصين أمر عسير مر المذاق. ولكن الموت ضرورة ونهاية لكل حى. والله سبحانه وتعالى هو الذى يعلم وحده الغيب، ويعلم مصير كل فرد، وبأى أرض يموت، ومتى وكيف ولماذا وكل ما يمكن أن يوجهه الإنسان الفانى من أسئلة، إنه هو العليم، وهو الرحمن الرحيم، سبحانه.